

هُتَّافات عَشْرات آلَافِ الْمُحْجِينَ فِي الأُرْدُن ضِدَّ الْأَمِيرِ بْنِ سَلَمَانَ..

ورَفِضَ شَيخُ الْأَزْهَرُ وَالْبَابَا تَوَاضُّرُوسُ اسْتِقْبَالَ بَنْسَ نَائِبِ تَرَامِب.. رَسَالَتَانِ قَوْيَّتَانِ لِلْسَّعُودِيَّةِ وَمَصْرِ زَعِيمَتَا مِحْجُورُ "الْاعْدَالِ الْعَرَبِيِّ" طَابُهُمَا التَّمَرُّدُ وَالانْحِيَازُ لِلشَّارِعِ الْوَطَنِيِّ الْغَاضِبِ.. سُونَامِيَ التَّغْيِيرِ يَنْتَلِقُ مِنَ الْقُدُسِ.. وَالْأَيَّامُ حُبْلَى بِالْمُفَاجَاتِ

عبد الباري عطوان

لَمْ يَكُنِ الرَّئِيسُ الْأَمْرِيْكِيُّ دُوْنَالَدُ تَرَامِبُ الْوَحِيدُ الَّذِي أَخْطَأَ فِي حِسَابَاتِهِ، وَأَسَاءَ تَقدِيرِ رُدُودِ الْفَعْلِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَيْهَا تُجَاهُ قَرَارِهِ الْكَارِثِيِّ بِالاعْتِرَافِ بِالْقُدُسِ الْمُحْتَلَّةِ عَاصِمَةً لِدُولَةِ الْاِحْتِلَالِ الإِسْرَائِيلِيِّ، وَنَقْلِ السَّفَارِةِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ إِلَيْهَا، فَمَنْ الْوَاسِطَجَ أَنْ حُلْفَاءَهُ الْأَقْرَبُ فِي الْمِنْطَقَةِ مُثْلِ الْمُمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ وَمَصْرِ وَالْإِمَارَاتِ ارْتَكَبُوا خَطَأً أَكْبَرَ عِنْدَمَا لَمْ يَتَّخِذُوا مَوْقِفًا قَوِيًّا رَادِعًا لَهُ، وَتَحْذِيرَهُ مِنْ تَبَدِّعَاتِ قَرَارِهِ هَذَا، وَالانْحِيَازِ إِلَى الثَّوَابِتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَشَاعِرِ الْغَضَبِ الْمَشْرُوعِ الَّتِي تَجَتَّاحُ الشَّارِعِينَ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ حَالِيًّا، وَهُوَ مَوْقُفٌ رَقْصَ لِهِ الْإِسْرَائِيلِيِّوْنَ طَرِيقًا فِي إِعْلَامِهِمْ.

عِنْدَمَا يُرْدَدُ آلَافُ مِنَ الْمُحْجِينِ الْغَاضِبِيِّينَ فِي مُخْتَلِفِ أَنْحَاءِ الْأُرْدُنِ الشَّعَارَاتِ الْمُنْدَدَّةِ بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَانَ، وَلِيِّ الْعَهْدِ السَّعُودِيِّ، وَتَدَهُّمُهُ بِالْعَمَالَةِ لِلْلُّوَلَّيَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، وَلَأَوْلَى مَرَّةٍ فِي تَارِيخِ هَذَا الْبَلَدِ، وَيُؤْوِلُهُ الرَّئِيسُ الرَّئِيسِ الْمَصْرِيِّ عَبْدِ الْفَتَاحِ السِّيِّسيِّ الْهُتَّافَاتِ نَفْسَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ بَلَدِ عَرَبِيٍّ، وَتَعْتَقِلُ قَوْانِينِ حِفْنَةٍ مِنَ الْمُتَطاَهِرِينَ كَسَرُوا الْحَظْرَ الرَّسْمِيِّ وَتَجَمَّعُوا أَمَامَ نِقَابَةِ الصَّحَافِيِّينَ، فَهَذَا لَا يَعْنِي تَصْنِيفَ مِحْجُورُ "الْاعْدَالِ" الْعَرَبِيِّ فِي خَانَةِ أَمْرِيْكَا وَإِسْرَائِيلِ، وَإِنْمَا بِدَايَةَ تَفَكُّكِهِ وَعُزْلَاتِهِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ أَيْضًا.

لَا يَرْعَفُ عَلَى أَيِّ أُسْسٍ يَبْنِي هَذَا "المِحْجُور" قَوَاعِدَ اسْتِرَاتِيجِيَّتِهِ فِي الْمِنْطَقَةِ، وَوَفِقَ أَيِّ مَعَايِيرٍ يُحدِّدُ دِعَاقِيَّتَهُ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْسِيَاسِيَّةِ مَعًا، وَلَكِنْ مَا يَعْرُفُهُ أَنْ خُصُومُ هَذَا "المِحْجُور" الْإِقْلِيمِيِّينَ يَجْنُونَ ثِيَارَ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ، وَيَخْطُفُونَ الشَّارِعِ الْعَرَبِيِّ، وَالْأَهْمُ مِنْ ذَلِكَ، يُصْدِفُونَهُمْ فِي خَانَةِ الْمُتَعاوِنِيْنَ مَعَ السِّيَاسَاتِ وَالْمَوَاقِفِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ الْحَالِيَّةِ الدَّاعِمَةِ لِلْعُنْصُرِيَّةِ الْإِرْهَابِيَّةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ فِي وَقْتٍ تَتَغَيِّرُ فِيهِ مُعَادِلَاتُ الْقُوَّةِ، وَالْتَّحَالِفَاتُ بِسُرْعَةٍ فِي الْمِنْطَقَةِ، عَلَى حِسَابِ

من الصّعب عَلَيْنَا الجَزِيمُ بِمَنْ ضَلَّلَ الآخِرَ، فَهَلْ ضَلَّلَ الرَّئِيسُ تَرَامِبُ حُلْفَاءَهُ "الْمُعْتَدِلِينَ" عِنْدَمَا اعْتَدَ بِأَنَّ انشِغَالَهُمْ بِأَزْمَانِهِمُ الْأُخْرَى، مِثْلَ التَّدَهُورِ الْاِقْتَصَادِيِّ (مَصْرُ)، أَوِ الْحَرَبِ فِي الْيَمَنِ، وَبِرُوزِ الْخَطَرِ الْإِيْرَانِيِّ، أَهْمُ مِنِ الْانْشَغالِ بِقَضِيَّةِ الْقُدْسِ، وَفِلَسْطِينِ بِالْتَّالِيِّ، الَّتِي بَاتَتْ مُهْمَشَةً وَتَحْتَلُ ذَيْلَ اهْتِمَامِ الشَّارِعِ الْعَرَبِيِّ وَالْعَالَمِ، أَمْ أَنْ هُؤُلَاءِ الْحُلْفَاءُ هُمُ الَّذِينَ ضَلَّلُوا تَرَامِبَ عِنْدَمَا أَكَّدُوا لَهُ أَنَّ الشَّارِعِينَ الْعَرَبِيِّيِّينَ وَالْإِسْلَامِيِّينَ فِي حَالِ مَوْتٍ سَرِيرِيٍّ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَمْضِي قُدْمًا فِي مُخْطَطِ طَارِئٍ بِذَلِيلِ السَّفَارِةِ، وَالاعْتِرَافِ بِسِيَاسَةٍ فَرَضَهُ الْأَمْرُ الْوَاقِعُ الْإِسْرَائِيلِيُّ بِالْقُوَّةِ فِي كُلِّ فِلَسْطِينِ الْمُحْتَلَةِ، وَأَيْمَانًا كَانَ الْمُضَلَّلُ، أَوِ الْمُضَلَّلُ، فَإِنَّ هَذِهِ "الصَّدَمَةُ" سُتُّلْقُ شَرَارَةَ الصَّحْوَةِ فِي الْعَالَمَيْنِ الْعَرَبِيِّيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ.

الرَّئِيسُ التُّرْكِيُّ رجب طَيبُ أَرْدوغانُ التَّقْطُطُ هَذِهِ الْلَّاَحْظَةِ التَّارِيْخِيَّةِ بِطَرِيقِ بَارِعَةٍ، وَقَرَرَ تَوْظِيفَ أَخْطَاءِ مَحْوِرِ الْاعْدَالِ وَانْحِيَازِهِ لِأَمْرِيْكَا، الَّذِي يَحْتَلُ قَائِمَةَ الْأَعْدَاءِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، لِخَدْمَةِ "رَعَامَتِهِ" الْمُتَسَارِعَةِ لِلْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الَّتِي يَعْمَلُ عَلَيْهَا تَكْرِيسُهَا حَالِيًّا بَعْدَ تَحْوِلِهِ إِلَى مَحْوِرِ الْمُقاوِمَةِ الَّذِي يَهْضِمُ إِيْرَانَ وَالْعَرَاقَ وَسُورِيَّةَ وَ"حَزْبُ الْاَهْلِ"، وَإِداَرَةَ ظَاهِرَهُ لِلْغَرْبِ الْأُورُوبِيِّ وَالْوَلَيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ، وَلَا نَسْتَبِعُ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْتَمِرُ الطَّارِئُ لِمُنْظَمَّةِ الْتَّعاَونِ الْإِسْلَامِيِّ، الَّذِي دَعَاهُ إِلَى عَقْدِهِ فِي اسْطَنبُولِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الْمُقْبِلِ لِلرَّدِّ عَلَى الإِهَانَةِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ، هُوَ الْخُطُوهُ الْأَبْرَزُ عَلَى طَرِيقِ تَكْرِيسِ هَذِهِ الْزَّعْمَةِ.

الْقِيَادَةُ الْسَّعُودِيَّةُ "رَشِيٌّ" الرَّئِيسُ تَرَامِبُ بِأَكْثَرِهِ مِنْ 500 مِلِيَّارَ دُولَارٍ دَوْلَارِ استِثْمَاراتٍ وَمَسَقَاتِ أَسْلَحَةٍ، وَتُطْبِعُ عَلَاقَاتُهَا بِشَكْلٍ مُتَسَارِعٍ مَعِ دُولَةِ الْاِحْتِلَالِ الإِسْرَائِيلِيِّ، وَتُعْطِي الضَّوْءَ الْأَخْضَرَ لِبَعْضِ كُتُبَّاهَا لِتَحْسِينِ صُورِ الْيَهُودِ وَالْإِسْرَائِيلِيِّينِ وَالْإِشَادَةِ بِهِمْ بِاعتِبارِهِمْ لَمْ يَقْتُلُوا سُعُودِيًّا وَاحِدًا، وَتَجْرِيمِ الْفِلَسْطِينِيِّينِ أَمْحَابِ الْقَضِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ الْعَادِلَةِ، وَضَحَايَا الْعُدُوَانِ الإِسْرَائِيلِيِّ الْأَمْرِيْكِيِّ (فَهُلْ قَتَلَ الْفِلَسْطِينِيُّونَ سُعُودِيًّا وَاحِدًا؟)، كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ الإِعْدَادِ لِحُرُوبِهَا الْمُفْتَرَضَةِ الْقَادِمَةِ مَعِ إِيْرَانَ، وَلَكِنَّهَا لَا تَعْلَمُ أَنَّهَا بِمِثْلِهِ تَحْذِي هَذِهِ التَّوْجِهَاتَ تُقدِّمُ الْمُكَافَأَةَ الَّتِي تَنْتَظِرُهَا الْقِيَادَتَانِ التُّرْكِيَّةِ وَالْإِيْرَانِيَّةِ دُونَ أَنْ تَخْسِرَا دُولَارًا وَاحِدًا فِي الْمُقَابِلِ.

دَوْلَتَانِ رَئِيْسِيَّتَانِ خَرَجَتَا مِنْ تَحَالِفِ الْاعْدَالِ الْعَرَبِيِّ حَتَّى الْآنِ هُمَا الْأَرْدُنُ وَالْمَغْرِبُ، وَلَا نَسْتَغْرِبُ أَنْ تَكُونَ مَصْرُ هِيَ الْثَّالِثَةُ الَّتِي تَحْذِي الْحَذْوَنَهُ زَفَسَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ، فِي طَلِيلِ حَالَةِ الْغَلِيَانِ الَّتِي تَجْتَاهُ الشَّارِعُ الْمَصْرِيُّ حَالِيًّا بِسَبِيلِ التَّنَازُلِ عَنِ جَزِيرَتِيِّ "تِيَرَانَ" وَ"صَنَافِيرَ" لِلْسَّعُودِيَّةِ أَوْ لَاَ، وَتَزَادِ التَّقَارِيرُ عَنْ مَشْرُوعٍ إِقَامَةِ وَطَنٍ بَدِيلٍ لِلْفِلَسْطِينِيِّينِ فِي سِيناءِ ثَانِيًّا، وَتَزَادِ أَعْمَالِ الْقَامِعِ وَمُصَادِرِ الْحُرُبِيَّاتِ مَعِ اسْتِمَارَةِ الْأَرْمَةِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ، وَفَشَلَ مُعْظَمُ الْحُلُولِ لِعِلاجِهَا ثَالِثًا.

لا نَعتقد أن الدكتور أحمد الطيب جمعة، إمام الأزهر أحد أبرز المراجعين الإسلاميين في العالم، والبابا تواضروس الثاني، بابا الإسكندرية، كانا يَتصرون من تلقاء نَفسيهما عندما أعلنا رَفضهما بشَكلٍ قاطِعٍ طَلبًا رَسميًّا سبق ووافقا عليه، بلقاء مايك بنس، نائب الرئيس الأمريكي يوم 20 كانون الأول (ديسمبر) الحالي في إطار جولةٍ عربيةٍ، احتجاجاً على اعتراف إدارة ترمب بالقدس عاصمةً للدولة الإسرائيليَّة الذي وُصف بأزمه باطلٌ شرعاً وقانونياً، ويُزور أصحابه التَّاريخ، ويَسلبون حقوق الشَّعب ويَعتدون على مُقدّساتِها.

هُنالك تَفسيران لهذا المَوقف المُشرِّف من الدكتور الطيب رجل السُّلطة، وأبرز مؤيدٍ محور الاعتدال العربي وسياساته، والبابا تواضروس الذي يَحظى باحترامٍ كبيرٍ مصريًّا وعربيًّا: الأول: أن يَكونا قدماً على هذه الخطوة بطلبٍ من الرئيس عبد الفتاح السيسي في مُحاولةٍ لتَوزيع الأدوار، واسترضاء الشَّارع المصري، ومُحاولة امتصاص غَضْبِه واحتقانِه، وهو الشَّارع الوَطنيُّ الذي لا يُمكن أن يَقبل أيٍّ تَفريطٍ بالقدس والقضية الفلسطينية اللَّتين قدّم آلاف الشَّهداء لذُرْتَهَا على مَدى عُقودٍ.

الثاني: أن يكونشيخ الأزهر والبابا تواضروس يَنطلقان من مَوقفٍ وَطنيٍّ مَسيحيٍّ وإسلاميٍّ مُستقلٍّ، ومُتمرِّدٍ، على المُؤسَّسة السياسيَّة في بلادِهما ومَواقِفهما المُتهاونة تجاه الاعتداءات الإسرائيليَّة المَدعومة أمريكيًّا على المَدينة المُقدَّسة وكنيَّتها ومساجدها وأقصانها وقبُّلتها، ومُحاولة تَهويدِها، ومسح هَويتها العربيَّة والإسلاميَّة بالتالي.

ربَّما من المُبكر تَرجيح هذا التَّفسير أو ذاك، فالأمور في بداياتِها، ولكن ما زَحن مُتيقَّنون منه، أن مصر التَّاريخ والحضارة، والرِّيادة، والإرث الوَطنيُّ الضَّخم، المُمتد لقُرون، لا يُمكن أن تَسكت على هذا الفُجور، وهذه الإهانات الأمريكية والإسرائيلية، وتَحوُّل إلى أداةٍ لتمرير مُخطَّطَات التَّهويد للأرض، والمُقدَّسات في فلسطين.

فعندما يُطالبشيخ الأزهر أهل الرِّباط في القدس، وكُلُّ فلسطين بإشعالِ فتيل الانتفاضة الثالثة، فإنَّ هذا زَحْوَلٌ خَطيرٌ في مَوقفه، سواء كان بإيعازٍ من الحكومة أو تَمَرِّداً على سياساته المُتوافقة مع رئيس أمريكا المسار والأهوج.

قيمة التعاون الإسلامي التي سيَتزعمُها الرئيس أردوغان في استانبول يوم الأربعاء القادم تأتي رَدِّاً، ومن ثُمَّ رَسخَها، للفِيمَة الإسلامية التي عَقدتها السعودية في الرياض في شهر أيَّار (مايو) الماضي، تَرحيداً بالرئيس ترامب وحرِيمه، وتَتويجاً لزعامتِه لمَحور الاعتدال، أمّا غَضبةشيخ الأزهر هذه، فإنهَا رسالةٌ سواء من الرئيس السياسي أو إليه، بأنَّ استمرار حَشر مصر في القَفص السُّعودي الخليجي ورهاناته الأمريكية، لن يُعمَّر طويلاً، إن لم يَكُن قد اقترب من نهايتها بطَرِيقَةٍ أو بأُخرى.

بالقدر نفسه من الأهمية يُمكن الحديث عن التمرّد الأُردني الرسمي والشعبي على اليمونة السعودية على القرار العربي، وذهب الملك عبد الله الثاني إلى اسطنبول في أقوى إشارة في هذا الصدد، لتقدير مصالحة، ثم تحالف، بين المرجعياتتين الإسلامية العثمانية والهاشمية، ومقدمة لتوسيعه بحيث يشمل قُم والنجف الأشرف.

ريكس تيلرسون، وزير الخارجية الأمريكي، نصح القيادة السعودية بالتحلي بأكبر قدر من الهدوء في التعاطي مع ملفات أزماتها وخلافاتها في اليمن ولبنان وقطر، ومراجعة سياساتها في هذا المضمار، ونحن ننصحها وحلفاءها في مصر والإمارات بتصويب بوضاحتهم نحو القدس المحتلة، والتصدي للعار الأمريكي الذي استهدفها، فمن غير المقبول أن تكون أرض الحرمين الشريفين الأقل تعاطفاً، وزمرة لأهل الرباط الذين يدافعون عن الحرم الثالث في القدس، مسri الرّسول صلى الله عليه وسلم.